

حماة لن تتكرر..!

الكاتب : مدونة شاعر أمل محترق

التاريخ : 31 يناير 2012 م

المشاهدات : 15030



من داخل حي الكيلانية في منطقة الحاضر؟

"عهدينا: أن نتصدى للإمبريالية والصهيونية والرجعية ونسحق أداتها المجرمة عصابة الإخوان المسلمين العميلة".

كان هذا أول ما شاهدته على جدران مدرستي الثانوية، في كل صباح، كانت حناجر الطلبة تصدح به... أقف بصمت أفكّ ما الرابط بين "الإخوان المسلمين" و"الصهيونية".

أتيني الإجابة من داخلي "لاشيء".

أسافر من حلب نحو حمص.. نمرّ في الطريق بـ"مفرق حمص - حماه" الذي يوصلنا إلى حمص دون المرور بحماة، يقول لي صديق السفر: "هاد المفرق عملوه بالتمانينات، لحتى ما يقطعوا طريق حلب دمشق لما عزلوا حماة وقصفوها بالطيران.. كنت بعمرك لما قصفوها".

تعود ذاكرتي إلى حين كنا نسافر مع أبي، نرجوه ألا يتجاوز حماة، نريد أكل البوظة الحموية بجانب النوعغير لنكمel بعدها طريقنا نحو حمص.. حين كان لا يستجيب لطلبنا ويقطع طريق حماة، كنا نبكي.. نعم هذا "المفرق" يستحق البكاء عليه..

أعود لصديق سفري أسأله: "لماذا سكتّ؟"

يأتيني بإجابته الجاهزة "ماعرفنا شو صار بعدما خلصت، ماكان في إعلام بوقتها مثل اليوم".

كالكثيرين لا أدرى ما جرى تماماً حينها.. البعض يقول: أنه تم إدخال "سيارات شحن" مليئة بـ"الأسلحة" إلى حماة فكان لا بد من قصفها للسيطرة على الوضع.. والآخر يقول: أن القصف تم بعد فشل السيطرة وإخماد الثورة آنذاك ولجعلها "عبرة لمين يعتبر" .. وقد اعتبروا. خاصة أنّ المدينة الثانية التي كانت مشتعلة آنذاك هي "حلب" ثاني أكبر المدن السورية فكان من الأسهل جعل هذه المدينة الصغيرة هي العبرة.

مهما كان الذي جرى آنذاك لا ينفي أنّ ما حصل هو "مجذرة" و"وصمة عار على جبين الإنسانية" بكل ما للكلمات من معنى. ما قبل "القصف" تتشابه الروايات بين حلب وحماة، قتل عشوائي، خلع حجاب النساء، اغتصاب، إنزال كل "ذكور" المبني "رجالاً وأطفالاً، فالأطفال يكبرون" ومن ثم ... رشّهم..!

الأرقام اليوم حتماً ليست دقيقة ومن شبه المستحيل الحصول على "رقم" ولو تقريبي لعدد الضحايا عموماً في تلك الفترة من تاريخ سوريا.

عشرات الآلاف من العائلات الحموية والحلبية ما تزال لليوم تعيش الذكرى بكل ألمها ووجعها يروون ما جرى.. حقيقة كالكذبة.. تمنى أنها مجرد "فيلم أكشن" أو أسطورة من أساطير القدماء.

الدمار وضع بصمته على كل شيء على المبني والجامع والكنائس... والبشر، دون تفرقة. لا شيء يروي لنا ما جرى سوى ذاكرة من بقي على قيد الحياة وبعض الصور التي تروي فجاعة ما جرى.. لتخبرنا أن كل الأرقام المتداولة إعلامياً اليوم لا يمكن أن تكون صحيحة.. والعدد أكبر من ذلك بكثير. اليوم..

حماة تصيح "لا تجعلوني عبرة مرتين"، المختلف، أنها ليست لوحدها..

أطفال "الثمانينات" أصبحوا رجال اليوم.. هبّوا لنصرة مدن سورية عانت الضرب والقصف المدفعي.. ليعيد التاريخ نفسه، مجازر تعم كافة أنحاء سوريا.. لا تستثنى أحداً رجالاً ونساءً وأطفالاً.. مبني ومدارس وجامع.. وكل شيء سواء في نظرهم. "هم أو لا أحد، هم أو لا شيء".

حين تم قصف حماة عام 1982م ظنوا بذلك أنهم أسكتوها للأبد.. لكن كما قلنا: "ما في للأبد"، وهذا ينطبق على كل شيء.. فها هي حماة تنفض الدم والغبار عن ذاكرتها لتقول: "لم ولن ننسى" وتتنفس معها كافة المحافظات السورية.. والكل يهتف "الحرية.. والقصاص".

ربما جملة تنبها امرأة أرملة ثكلى تكتفي لاختزال المشهد.. سوريا بين الماضي والحاضر..

تجلس على التراب لتبكي فقد قتل الأب زوجها.. ليأتي الابن ويقتل ابنها.. وتبقى هي مرتدية الأسود تقف أمام الموت متسلحة بإيمانها بقدرة الشعب على الانتقام.

لخساواتنا نعدكم أن ننتقم لكن.. ولكل رجال ونساء وأطفال سوريا..
سوريا الثمانينات.. سوريا اليوم..

الرحمة لكل من توارى تحت التراب.. دون أن يدون اسمه في "سجل الوفيات"..
الرحمة لكل من روى تراب سوريا بدمه البارحة واليوم وغداً...
الحرية لكل من غُيَّب في غياب السجون..الحرية لسوريا..

المصادر: